

تفسير ابن كثير

لما تضمن قوله تعالى : { إنا أوحينا إليك } إلى آخر السياق إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب قال الله تعالى : { لكن الله يشهد بما أنزل إليك } أي وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك فإنه يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم الذي { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } ولهذا قال : { أنزله بعلمه } أي في علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه الله به كما قال تعالى : { ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء } وقال : { ولا يحيطون به علما } .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا الحسن بن سهل الجعفي وخزرج بن المبارك قالا : حدثنا عمران بن عيينة حدثنا عطاء بن السائب قال : أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال : قد أخذت علم الله فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل ثم يقرأ قوله : { أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا } قوله : { والملائكة يشهدون } أي بصدق ما جاءك وأوحى إليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى بذلك { وكفى بالله شهيدا } قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم : [إني لأعلم والله إنكم لتعلمون أني رسول الله] فقالوا : ما نعلم ذلك فأنزل الله { لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه } الآية .

وقوله : { إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا } أي كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والافتداء به قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبعدوا منه بعدا عظيما شاسعا ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله الظالمين لأنفسهم بذلك وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه بأنه لا يغفر لهم { ولا ليهديهم طريقا } أي سبيلا إلى الخير { إلا طريق جهنم } وهذا استثناء منقطع { خالدين فيها أبدا } الآية ثم قال تعالى : { يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم } أي قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكم ثم قال : { وإن تكفروا فإن الله ما في السموات والأرض } أي فهو غني عنكم وعن إيمانكم ولا يتضرر بكفرانكم كما قال تعالى

: { وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد } وقال ههنا : {
وكان الله عليما } أي بمن يستحق منكم الهداية فيهدية وبمن يستحق الغواية فيغويه { حكيم
{ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره